إشْرَاقات الشُّعَاع مِنْ إضَاءَات خُطْبَةِ الوَدَاعِ

2025-06-13

الحمد لله ذي الجلال والإكرام. والفضل والطول والمِنَن العظام. الذي هدانا للإسلام. وأسبغ علينا جزيل نِعَمه وألطافه الجسام. وكرّم الآدميّين وفضّلهم على غيرهم من الأنام. ودعاهم برحمته ورأفته إلى دار السلام. وأكرمهم بما شرعه لهم من حجّ بيته الحرام. الذي جعله أحد أركان الإسلام، وختم به عُمُد الدين المتين فكان سِمَةً دالّة على مِسْك الختام. فسبحانه من إله بسط لنا بساط المنَّة، بهادينا إلى طريق الجَنّة، الذي كان لنا من الآفات والعاهات في الدارَيْن خيرُ جُنَّة. مَن جعله الله تعالى أبهى سراج، الهادي إلى أقوم منهاج. الذي يَطِيب للأرواح به معنى الامتزاج، عندما تنتهج في نَهْجه أكرمَ انتهاج، نحمده تعالى ونشكره أن جعلنا في أمّته. بمحض منّته ورحمته، فلله الحمد أبداً سرمدا، اللهم أدِم الصلواتِ. على مفتاح باب الرحمة خيرِ البريات. عبدِك المصطفى سيّدِنا محمد المختار، وعلى آله الأطهار. وأصحابه الأخيار، ومَن على منهجه سار، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، حَثَّ عَلَى التَّوَاصِي بِالْخَيْرِ، وَأَمَرَ بِالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ، أَمَرَنَا بِعِبَادَتِهِ، وَأَوْجَبَ عَلَيْنَا دَوَامَ طَاعَتِهِ، وَيَسَّرَ لَنَا سُبُلَ هِدَايَتِهِ، وَرَغَّبَنَا فِي فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَدَعَانَا إِلى الْمُسَارَعَةِ إِلَى الْجَنَّاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلِيلُهُ، مَنْبَعُ الأَخْلاقِ وَالشِّيَمِ، وَبَانِي الْحَضَارَةِ وَالْقِيَمِ، آتَاهُ اللهُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، فَكَانَ خَيْرَ نَاطِقٍ بِفَمٍ، وخَيْرُ مَنْ أَوصَى وَوَجَّهَ، وَأَرْشَدَ ونَبَّهَ، أَرْسَلَهُ رَبُّهُ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، فبلَّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونَصح الأمّة، وكشَف الله به الغمّة، وجاهد في الله حق جهاده، وتركنا على المحجّة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فجزاه الله خير ما جازى نبيّاً عن أمّته، ووفّقنا جميعاً لاتّباع سنّته، وحشَرنا يوم القيامة في زمرته، وجعلَنا من أهل شفاعته، اللهم آمين.

يا أمّةً لنبيٍّ نورُه سطعَا * وعَزّ مقدارُه في المجد وارتفعَا

كم سَدَّ فاقةَ محتاجٍ وكم نفعاً * هذا الذي بالهدى والدين قد صدعَا

صلّوا على المصطفى يا كلَّ مَنْ سَمِعَا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيّدنا محمد. صفوة الأصفياء المتوَّجين بتاج الجلال والجمال. وعلى آله الذين هم خير عِتْرة وأشرف آل. وصحابته نجوم الهداية وحسنات الأيام والليال. صلاة تصلح بها منّا الأقوال والأفعال. وتوفّقنا بها لصِدق النية وصالح الأعمال. وتُلهمنا بها حُجَّتَنَا المُنجية يوم العرض والسؤال. وتجعلَنا بها من الآمنين المطمئنّين عند تراكم الزلازل والأهوال. يا مَن إليه المفزَع في الحال والمآل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنه لاَ عِزَّ لِهَذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ بِالنَّظَرِ في صَفَحَاتِ تَارِيخِهَا، وَالغَوصِ لاستِخْرَاجِ عِبَرِهَا وَدُرُوسِهَا، اِسْتِلْهَامًا لِسِيرَةِ نَبِيِّهَا عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَاستِجْلاَءَ تَضْحِيَاتِهِ وَأَصْحَابِهِ الكِرَامِ، قال تعالى في سورة الأحزاب: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِے رَسُولِ اِ۬للَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ اُ۬للَّهَ وَالْيَوْمَ اَ۬لَاخِرَ وَذَكَرَ اَ۬للَّهَ كَثِيراٗ}، وَنَحْنُ في شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ الحَرَام، تَعُودُ بِنَا الذِّكْرَيَاتُ؛ فَنَتَذَكَّرُ مَوقِفَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ، حَيثُ اجتَمَعَ المُسلِمُونَ، فَخَطَبَ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خُطْبَتَهُ العَظِيمَةَ، الَّتِي بَيَّنَ فِيهَا أُصُولَ الإِسْلامِ وَقَوَاعِدَ الدِّينِ، وَأَرْسَى قَوَانِينَ الأَخْلاقِ ودَعَائِمَ الاِجتِمَاعِ، وَقَضَى عَلَى عَادَاتِ الجَاهِلِيَّةِ، فَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَستَلْهِمَ مِنْ ذَلِكَ البَيَانِ النَّبَوِيِّ دُرُوسًا وَعِبَرًا، نَسْعَدُ بِهَا فِي حَيَاتِنَا، فَقَدْ قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبيٍّ، وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلاَّ بالتَّقْوَى))، لَقَدْ حَرَصَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَربِطَ النَّاسَ بِأَصْلِهِمُ، الَّذِي انبَثَقُوا مِنْهُ، حَيْثُ لا مَكَانَ بَيْنَهُمْ لِتَفَاضُلٍ فِي أَسَاسِ الخِلْقَةِ وَابتِدَاءِ الحَيَاةِ، فَلا يُفَرِّقُهُمُ الجِنْسُ أَوِ اللَّوْنُ، أو

العَصَبِيَّةُ أَوِ القَبَلِيَّةُ، فَهُمْ سَوَاسِيَةٌ كَمَا قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((كُلُّكُمْ لآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ))، وَهَذَا مَا بَيَّنَهُ رَبُّنَا تَعَالَى حَيْثُ قَالَ في سورة الحجرات: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، إِنَّهَا دَعْوَةٌ إِلَى الوَحْدَةِ، وَتَحْذِيرٌ مِنَ الفُرقَةِ وَالخِلافِ، فَالإِسْلامُ رِسَالَةٌ عَالَمِيَّةٌ، جَاءَتْ لِخَيْرِ الأُمَمِ وَالشُّعُوبِ جَمِيعًا، فَلْنَسْتَشْعِرْ مَعْنَى الوَحْدَةِ، وَلْنُحَافِظْ عَلَى سَلامَةِ المُجتَمَعِ وَالوَطَنِ، وَلْنَعْمَلْ عَلَى تَوْطِيدِ أَمْنِهِ وَاستِقْرَارِهِ. أيّها المسلمون. إِنَّ خُطْبَةَ الْوَدَاعِ الَّتِي خَطَبَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي الْعَامِ الْعَاشِرِ مِنَ الْهِجْرَةِ عَلَى صَعِيدِ عَرَفَاتٍ، كَانَتْ خُطْبَةً جَامِعَةً مَانِعَةً، أَرْسَى بِهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَوَاعِدَ الدِّينِ، وَأَتَمَّ بِهَا النِّعْمَةَ عَلَى الْعَالَمِينَ، كَيْفَ لا؟! وَقَدْ نَزَلَ بَعْدَهَا قَوْلُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ كما في سورة المائدة: {ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِے وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلِاسْلَٰمَ دِيناً}، . لَقَدْ عَالَجَتْ خُطْبَةُ الْوَدَاعِ قَضَايَا الأُمَّةِ الْكُبْرَى، ابْتِدَاءً بِالْجَانِبِ الدِّينِيِّ ثُمَّ السِّيَاسِيِّ، مُرُورًا بِالْجَانِبِ الاقْتِصَادِيِّ فَالاجْتِمَاعِيِّ. يَقُولُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ، بِعِبَارَاتٍ نَبَوِيَّةٍ بَلِيغَةٍ: ((أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلاَّ بِالتَّقْوَى)). أيّها المسلمون. مَهْمَا كَانَتِ الإِمْكَانَاتُ الْمَادِّيَّةُ ضَخْمَةً وَقَوِيَّةً، إِلاَّ أَنَّهَا هَبَاءٌ إِنْ لَمْ تَقْتَرِنْ بِالتَّقْوَى، فَالْمُوَظَّفُ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَقِيًّا فَهُوَ مِعْوَلُ هَدْمٍ؛ وَإِنْ كَانَ يَمْلِكُ كَمًّا مِنَ الشَّهَادَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالتَّاجِرُ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَقِيًّا كَانَ مَصْدَرَ بَلاءٍ تَهْلِكُ بِسَبَبِهِ الأُمَّةُ، وَالْجُنْدِيُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَقِيًّا لاذَ بِالْفِرَارِ عِنْدَ أَوَّلِ لِقَاءٍ، وَالْمُتَتَبِّعُ لِحَالِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ يُدْرِكُ أَنَّ ذَهَابَهَا لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ نَقْصٍ فِي إِمْكَانَاتِهَا الْمَادِّيَّةِ؛ وَلَكِنْ لَمَّا غَابَتِ التَّقْوَى وَقَعَ مَا لا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ، قال تعالى في سورة الأعراف: {وَلَوَ اَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرِيٓ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَالَارْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}، وَلِذَا كَانَتِ التَّقْوَى مِعْيَارًا لِلتَّفَاضُلِ بَيْنَ النَّاسِ، فِي مِيزَانِهَا يُوزَنُونَ، وَعَلَى

أَسَاسِهَا يَتَفَاضَلُونَ. أيّها المسلمون. قَرَّرَ صلى الله عليه وسلم فِي خُطْبَةِ الوَدَاعِ حُرْمَةَ الدِّمَاءِ وَالأَمْوَالِ فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا))، إِنَّ المُسْلِمَ الحَقَّ هُوَ الَّذِي يَعِي هَذَا التَّوجِيهَ النَّبَوِيَّ؛ فَيَقِي نَفْسَهُ والنَّاسَ أَجمَعِينَ الشُّرُورَ والأَضْرَارَ، وَيَحْرِصُ عَلَى سَلاَمَةِ مُجتَمَعِهِ وَوَطَنِهِ، وَيَكُونُ مِثَالاً لِمَا يُحَقِّقُ المَصْلَحَةَ، وَيَدْفَعُ المَضَرَّةَ وَيَجْلِبُ الخَيرَ لِلأُمَّةِ، فَهَلْ يَلِيقُ بِالإِنْسَانِ بَعْدَ سَمَاعِ هَذَا البَيَانِ أَنْ يَكُونَ أَدَاةَ هَدْمٍ وَتَخْرِيبٍ، وَمِعْوَلَ فَنَاءٍ وَإِفْنَاءٍ، وَسَبَبًا لإِزْهَاقِ الأَرْوَاحِ وَنُزُولِ البَلاَءِ؟ أَلَمْ يَأْتِهِ الوَعِيدُ الإِلَهِيُّ، قال تعالى في سورة النساء: {وَمَنْ يَّقْتُلْ مُومِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِداً فِيهَا وَغَضِبَ اَ۬للَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماًۖ}، فَأَيُّ وَعِيدٍ أَشَدُّ مِنْ وَعِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ إِنَّهُ الغَضَبُ وَاللَّعْنَةُ وَالخُلُودُ فِي جَهَنَّمَ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ، ألا فَلْنَحْذَرْ أَنْ نُسَخِّرَ نِعَمَ اللهِ فِي إِزْهَاقِ الأَرْوَاحِ وَإِتْلافِ الأَمْوَالِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَوجِبُ غَضَبَ الكَبِيرِ المُتَعَالِ. أيّها المسلمون. فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ قَرَّرَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم كَيْفَ يَكُونُ الحِفَاظُ عَلَى الأُسْرَةِ المُسلِمَةِ، فَالْبَيْتُ الْمُسْلِمُ الَّذِي تَشِيعُ فِي جَنَبَاتِهِ الْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ، وَيَنْعَمُ أَفْرَادُهُ بِالسَّكِينَةِ وَالاطْمِئْنَانِ؛ قَادِرٌ عَلَى رَفْدِ الْمُجْتَمَعِ بِطاقاتٍ فَاعِلَةٍ، وَسَوَاعِدَ فَتِيَّةٍ، تَدْفَعُ بِعَجَلَتِهِ نَحْوَ التَّقَدُّمِ وَالرُّقِيِّ، وَرَسَمَ الآدَابَ المُشْتَرَكَةَ بَيْنَ الزَّوجَيْنِ، وَحَدَّدَ حُقُوقَ كُلٍّ مِنْهُمَا عَلَى الآخَرِ، فَقَالَ: ((اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاستَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ))، فَعَلَى المُسلِمِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى عَلاقَتِهِ مَعَ أُسْرَتِهِ، فَيُرَبِّيَ أَبْنَاءَهُ تَرْبِيَةً صَحِيحَةً، وَيُعَلِّمَهُمْ تَعلِيمًا نَافِعًا، وَيَحْتَرِمَ حُقُوقَ الحَيَاةِ الزَّوجِيَّةِ؛ لِيَتَحَقَّقَ لَهُ مَعْنَى القِوَامَةِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الحَقُّ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ في سورة النساء: {اِ۬لرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَي اَ۬لنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اَ۬للَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَيٰ بَعْضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنَ اَمْوَٰلِهِمْۖ}، أيّها المسلمون. فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَاعلَمُوا أَنَّ اللهَ حَدَّ حُدُودًا فَلا تَعْتَدُوهَا، وَأَمَرَكُمْ بِفَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا، وَنَهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرَاتِ

فَاجتَنِبُوهَا، وَاستَلهِمُوا الدُّرُوسَ وَالعِظاتِ مِنْ خُطْبَةِ حَجَّةِ الوَدَاعِ المُبَارَكَةِ، وَتَذَّكَروا وَصِيَّةَ نَبِيِّكُمُ الأَخِيرةَ فِيها حَيثُ قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكُمْ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ، لا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَقَد تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعتَصَمتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا؛ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ)). وأنا وأنتم يا عباد الله نشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح لهذه الأمّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده، حتى أتاه اليقين من ربِّه، فجزى الله نبيّنا سيّدنا ومولانا محمدًا خيرَ الجزاء، جزى الله نبيّنا سيّدنا ومولانا محمدًا خيرَ ما جزى اللهُ نبيًّا عن أُمّته. فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَارْسُمُوا مِنْ خُطْبَةِ الْوَدَاعِ مَعَالِمَ تُنِيرُ لَكُمُ الدُّرُوبَ، وَتَصِلُكُمْ بِعَلّامِ الْغُيُوبِ. اللهم وفّقنا أجمعين لعمل الخيرات، والمحافظة على الطاعات، واستباق النوافل والقربات، واجعلنا ممّن تتوفّاهم مسلمين. وتُلحقهم بالصالحين. اللهم سدِّد خطانا، ووفّقنا لسلوك طريق الخير والبر والفضيلة، الذي ارتضيته لنا بقولك:((ورضيتُ لكم الإسلام دينا)). اللهم أصلِح حال المسلمين. اللهم اجمَع كلمتَهم على الحق. وردّهم إلى دينك ردّاً جميلاً. اللهم أبرِم لهذه الأمّة أمرا رَشَدا. يُعَزّ فيه أهلُ طاعتِك. ويُذلّ فيه أهلُ معصيتِك. ويُؤمَر فيه بالمعروف. ويُنهى فيه عن المنكر. اللهم يا غياث المستغيثين، ويا ظهير اللاجئين، ويا نصير المستضعفين، انصر اللهم إخواننا أهل فلسطين، اللهم فرّج كَربهم. وأيّدهم بجنودك التي لا تُرى. يا عزيز يا حكيم، واخذل اللهم أعداءهم. واشدد الوطأة على من ناوأهم، وارفع اللهم مقتك وغضبك عنّا يا رب العالمين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ